النبوة وحاجة البشر إليها

د. محمد خضر إبراهيم
مدرس العقيدة والفلسفة في الكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

النبوة حلقة الوصل بين السماء والأرض بها يتعرف الإنسان على خالقه وما يجب له وما يجوز في حقه وما يستحيل عليه سبحانه وتعالى.

وإذا كانت العقول تصل إلى وجوده سبحانه، فإنها تعجز عن إدراك صفاته، وتاريخ الفكر الإنساني خير شاهد على ما نقول، فكم من عقول وصلت إلى وجوده سبحانه وتعالى ولكنها عجزت عن فهم صفاته، بل وعن علاقته بخلقه.

فها هو أرسطو الذي يعد قمة من قمم الفكر الإنساني يصل إلى وجود الله وإن سماه محركاً أول إلا أنه تصوره له تصور ناقص وعاجز.

كما أن أمور الآخرة وما يتعلق بها من بعث وحشر ونشر وحساب وثواب وعقاب مما تعجز العقول عن إدراك كيفيته.

كما أن هناك كثيراً من الأمور التي تعجز العقول عن إدراكها ومعرفة أسبابها.

من هنا تظهر حاجة البشر إلى النبوة والرسالة لتبين لهم ما صعب عليهم فهمه، وكيفية عبادتهم لربهم.

من هنا جاء هذا البحث. (النبوة وحاجة البشر إليها) والذي اشتمل على:

المبحث الأول: النبوة وحاجة البشر إليها

المبحث الثاني: الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وصفاتهم

المبحث الأول

النبوة وحاجة البشر إليها

النبوة هي كون الإنسان مبعوثا من الحق إلي الخلق، وقيل هي اختصاص العبد بسماع وحى من الله تعالى بحكم شرعي تكليفي سواء أمر بتبليغه أو لم يؤمر(١).

وهذا المعني الثاني للنبوة مما انعقد علية إجماع الأمة (٢) وسوف نستهل حديثنا عن النبوة بما يلي:

<u>أولا : حكم إرسال الرسل</u>

لما كانت بعثة الله تعالى للأنبياء الرسل منة واصطفاء ورحمة واجتباء فإرسال الرسل من الأمور الجائزة على الله تعالى إن شاء فعلها وإن شاء تركها ومن ثم فهي ليست واجبة ولا مستحيلة عليه تعالى.

فمن الجائز عليه تعالى إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام للخلق فليس إرسالهم واجبا علية تعالى ولا مستحيلا بل لطف منه تعالى وإحسان ورحمة بمحض الفضل؛ بما في إرسالهم من الحكم والمصالح التي لا تحصى (٣).

بناء على رأي الأشاعرة؛ لأن الا شاعرة "ذهبوا إلي أن البعثة لطف من الله ورحمة، يحسن فعلها ولا يقبل تركها ،ولا تنبني على استحقاق من المبعوث واجتماع أسباب وشروط فيه (٤).

وذلك لأن الله تعالى يصطفى من يشاء من عباده لهذه البعثة كما قال سبحانه: ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ﴾ (٥) ومن ثم فهي محض اصطفاء ورحمة وفضل منه تعالى وفق مشيئته وإرادته؛ إذ هو كما قال ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ (٦).

---

(١) أصول الدين للبغدادي. ص١٥٤ ط(١) استانبول ١٩٢٨.

(٢) الحصون الحميدية حسين الجسر ص٨٠ ط(١) محمد علي صبح.

(٣) الحصون الحميدية ص ٣١.

(٤) شرح المقاصد للتفتازاني ج٣ ص٢٦٨، ٢٧٠ ط. دار الكتب العلمية بيروت ط(١١).

(٥) الحج الآية : ٧٥.

(٦) الأنعام الآية : ١٢٤.

فالبعثة لو كانت واجبة أو مستحيلة على الله تعالى لما كان قادرا مختارا مريدا، لكنه قد ثبت له القدرة والإرادة والاختيار وما كان كذلك يجوز له أن يفعل أو أن يترك دون وجوب أو امتناع عليه قال تعالى ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ (١).

وقد وقعت النبوة فعلا وثبت وقوعها بطريق التواتر المفيد لليقين من خلال دعوى سيدنا محمد - ﷺ- النبوة والرسالة وإظهار صدق دعوته بالبراهين القاطعة.

وقد أخبر- ﷺ- ضمن ما أخبر به أن الله تعالى أرسل رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل قال تعالى: ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ (٢)، وقال: ﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما﴾ (٣).

وقد خالف المعتزلة والماتريدية وبعض الفلاسفة فالمعتزلة ذهبوا إلى وجوب إرسال الرسل على الله تعالى لما فيه من المنافع التي لا يمكن تحصيلها إلا من خلال البعثة وانطلاقا من قولهم بوجوب الصلاح والأصلح على الله ووجوب فعل الحسن وترك القبيح، ووجوب اللطف على الله؛ قالوا بوجوب إرسال الرسل على الله تعالى.

يقول القاضي عبد الجبار: (إنه قد تقرر في عقل كل عاقل وجوب رفع الضرر عن النفس، وثبت أيضا أن ما يدعو إلى الوجوب، ويصرف عن القبيح فإنه واجب لا محالة، وما يصرف عن الوجوب ويصرف عن القبيح فهو قبيح لا محالة).

إذ صح هذا وكنا نجوز أن يكون في الواجب الأفعال ما إذا فعلناه كنا عند ذلك أقرب إلى أداء الواجبات واجتناب المقبحات، وفيها ما إذا فعلناه كنا بالعكس من ذلك.

ولم يكن في قوة العقل ما يعرف به ذلك ويفصل بين ما هو مصلحة ولطف وبين ما لا يكون كذالك، فلابد أن يعرفنا الله تعالى حال هذه الأفعال التي لا يكون عائد حتى بالنقص على غرضه بالتكليف؛ وإذا كنا لا يمكن تعريفنا ذلك إلا بأن يبعث إلينا رسول مؤيدا بعلم معجز دل على صدقه، فلا بد أن يفعل ذلك ولا يجوز له الإخلال به.

---

(١) القصص الآية : ٦٨.

(٢) فاطر الآية : ٢٤.

(٣) الأنعام الآية : ١٦٥.

ولهذه الجملة قال مشايخنا: إن البعثة متى حسنت وجبت على معنى أنها ما لم تجب قبحت لا محالة)) [١]..

وأما بعض الماتريدية فإنهم يرون أن إرسال الرسل من لوازم وضروريات الحكمة الإلهية، فإذا كانت الحكمة تقتضي الإرسال فإنه مستحيل أن لا يوجد الإرسال، لاستحالة السفه على الله تعالى.

يقول أبو منصور الماتريدي: ((يجب القول بالرسالة بضرورة العقل في إيجاب الحاجة إليها دنيا ودين)) [٢]..

ثم فصل القول في بيان الأمور الدينية والدنيوية التي تقتضي الحكمة الإلهية بشأنها ضرورة إرسال الرسل.

وأما بعض الفلاسفة فقد قالوا بلزوم إرسال الرسل على الله تعالى؛ لأن الله تعالى محيط منذ الأزل بما يصلح العالم ويجعله على أحسن النظام من غير انبعاث قصد أو طلب، وهذا ما لا يتم إلا ببعثة الرسل، فالنبوة عندهم لازمة لضرورة وجود النظام الأمثل في العالم الذي لا يليق بالعناية الإلهية أن تقبل بأقل منه، ومن ثم فهي حاجة اجتماعية لا غنى للاجتماع البشري عنها [٣].

وبهذا يتضح أن النبوة عندهم من الواجب العقلي على معنى أنه لم يكن في العقل بدمن حصول لطف المبدأ الأول وإفاضة الجود منه [٤]..

وغير خفي أن أرجح هذه الآراء في هذه المسألة هو رأى الأشاعرة؛ لأن البعثة من الله تعالى رحمة ومنه وتفضل، إذ لا يجب عليه شيء، فهو يفعل ما يشاء ويترك ما يشاء، لأنه فاعل مختار، والفاعل المختار لا يجب عليه شيء، فلا يجب عليه لطف، ولا صلاح، ولا أصلح مما ذهب إليه المعتزلة.

وكذا ما ذهب إليه الماتريدية في هذه المسألة فإنه ميل إلى رأى المعتزلة وتوسيع لدائرة القول بالوجوب على الله تعالى.

وأما ما ذهب إليه بعض الفلاسفة من القول باللزوم فهو مردود؛ لأنه قائم على أساس من قولهم بأن الله – تعالى- فاعل بالإيجاب لا فاعل بالاختيار، وهو

---

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٥٦٤ ط(١) ١٩٦٥.

(٢) التوحيد الماتريدي. ص١٧٩ ط. دار الجامعات المصرية.

(٣) النجاة لابن سينا ص٣٣٩ ط. دار الآفاق الجديدة بيروت ١٩٨٥.

(٤) غاية المرام في علم الكلام للآمدي ص٣١٩، ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة ١٩٧١.

قول مردود بصريح الكتاب والسنة اللذين يثبتان لله -تعالى- كل كمال، وينفيان عنه كل نقص، ومن هذه الكلمات الإرادة والاختيار، قال تعالى: ﴿فعال لما يريد﴾ (١) وقال: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ (٢).

(وإذا كان القول بالوجوب باطل فإن القول بالإيجاب أشد بطلانا، وأن القول بحرية الاختيار والفعل بالنسبة لذات الله تعالى لا يتحقق إلا إذا اعتقدنا بجواز إرسال الرسل، وهو مذهب أهل السنة، وهو القول الذي يلزم عليه اتصاف الخالق بكل كمال، وتنزيهه عن النقص، فصدور الأفعال عنه بالإيجاب هو تجريد لله عن الإرادة والاختيار) (٣).

ومما تقدم يتضح أن الأشاعرة والمعتزلة والماتريدية وفلاسفة المسلمين، وإن اختلفوا في حكم إرسال الرسل إلا أنهم جميعا متفقون في إقرار بعثة الرسل، خلافا لمن أنكر النبوة أصلا.

منكروا النبوة وشبهاتهم

لقد أجمل التفتازانى ذكر هؤلاء المنكرين بقوله: (المنكرون للنبوة منهم من قال باستحالتها ولا اعتداد بهم، ومنهم من قال بعدم الاحتياج إليها كالبراهمة {جمع من الهند أصحاب برهام}، ومنهم من لزم ذلك من عقائدهم كالفلاسفة النافين لاختيار الباري وعلمه بالجزئيات وظهور الملك على البشر ونزوله من السماوات، ومنهم من لاح ذلك من أفعاله وأقواله كالمصرين على الخلاعة وعدم المبالاة ونفى التكليف ودلالة المعجزات ،وهؤلاء آحاد أوباش من الطوائف لا طائفة معينه يكون لها ملة ونحلة) (٤).

ولعل إنكار المنكرين يكمن في استحالة وجود اتصال بين الله وبين البشر وذلك لاختلاف المقامين مقام الالوهية ومقام البشر وإذا كان هناك ثمة اتصال بين الله وغيره فلابد وان يكون هذا المتوسط بينه وبين البشر روحانيا كما ذهب إلى ذلك

---

(١) البروج الآية : ١٥.

(٢) القصص الآية : ٦٨.

(٣) في العقيدة الإسلامية. د. شوقي إبراهيم ص ٣٥، ٣٦. دار الطباعة المحمدية ١٩٨١.

(٤) الملل والنحل. للشهرستاني ج٢ ص٢٥٠، ٢٥٢ . ت: محمد سعيد كيلاني. دار صعب بيروت.

الصابئة فإنهم ذهبوا إلى استحالة وجود اتصال بين الله تعالى وبين البشر والقول بالنبوة يوجب هذا الاتصال وهو محال فالنبوة إذا مستحيلة ٠

فهم يرون أننا نحتاج في معرفة الله ومعرفة طاعته وأحكامه وأوامره إلى متوسط لكن ذلك المتوسط يجب أن يكون روحانيا وجسمانيا وذلك لذكاء الروحانية وطهارتها وقربها من رب الأرباب٠

والجسماني بشر مثلنا يأكل مما نأكل ويشرب مما نشرب يماثلنا في المادة والصورة[1] ٠ انه نفس منطق الكفر في كل عصر وزمان كما حكى القرآن " وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون "[2]

كأني بالقوم تواصوا فيما بينهم على هذا المعتقد الباطل وهذه الرؤية القاصرة للنبي والرسول ٠

ولو أمعنوا النظر في حقيقة الإنسان لهان الأمر عليهم ولكنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور فلو نظروا في حقيقة الإنسان لوجدوا مبتغاهم ولعلموا أن إرسال الرسل ليس بالأمر المستحيل وذلك لأن الرسل فيهما طرفان طرف الروحانية وبه يشاركون الملائكة وطرف البشرية فيكونون مثل غيرهم من البشر ٠

وبطرف الروحانية يتلقون الأمر الإلهي من الله تعالى إما مباشرة مثل الملائكة وإما بواسطة الملائكة ٠

وإذا كان الحال هكذا فإن البشرية لا تنافي الرسالة ومن ثم يجوز إرسال الرسل من البشر ٠

" فبطرف البشرية يشاكل نوع الإنسان ويشاركه فيأكل ويشرب وينام ويحيا ويموت وبطرف الرسالة يشاكل نوع الملائكة فيسبح ويقدس ويبيت عند ربه فيطعمه وتنام عينه ولا ينام قلبه ويموت قلبه ولا يموت روحه "[3] ٠

---

(١) الملل والنحل ط١ ص ٢١٠

(٢) المؤمنون الآية ٣٣ ، ٣٤

(٣) نهاية الإقدام ص ٤٢٨

وبذلك ينتفي ما استند إليه الصـ بئة في دعواهم باستحالة إرسال الرسل ·

وإذا انتقلنا إلى الفرقة الثا ـة من المنكرين للنبوة وهم البراهمة نجدهم يذهبون إلى القول باستحالة النبوا عقلا وذلك راجع من وجهة نظرهم إلى : أن البعثة تتوقف على علم لمبعوث علما يـ ينيا بأن الباعث والمرسل هو الله وطريق هذه المعرفة مستحيل ومن ثم فبعثة الأ بياء مستحيلة ·

واستدلوا على ذلك بأنه " إذا كان النبي مبلغا عن الله فلابد أن يسمع أوامره وكلامه أو يسمع ممن سمع من الله ثم يبلغهم ذلك ·

فبأي شيء عرف أن المتكلم هو الله تعالى وبأي شيء عرف أن المتوسط ملك يوحى إليه وبم عرف ذلك الملك أن الرب هو المتكلم ولا يعين في شيء من ذلك كله اذ دونه شبهات عديدة فالبعثة مستحيلة "(١) ·

والجواب على هذا سهل ميسور فما من نبي يرسله الله إلا ويخلق على يديه المعجزات وهي لا تكون إلا من رب العالمين فيعلم ويصدق بأن الله تعالى أرسله وانه رسول الله وان الوحي الذي يأتيه من عند الله حقا أو يخلق الله تعالى فيه علما ضروريا فيعلم يقينا بأنه رسول الله وان المرسل هو الله ·

وفيما يلي عرض لأهم الشبهات للمنكرين

الأولى : أن البعثة تتوقف على علم المبعوث بأن الباعث هو الله تعالى ولا سبيل إلى ذلك والجواب المنع لجواز أن ينصب دليلا له أو يخلق علما ضروريا فيه·

الثانية : وهي للبراهمة أن ما جاء به النبي إما أن يكون موافقا للعقل حسنا عنده ، فيقبل ويفعل ، وان لم يكن نبيا أو مخالفا له قبيحا عنده فيرد ويترك ، وان جاء به النبي وأيا ما كان لا حاجة إليه ، فإن قيل : لعله لا يكون حسنا عند العقل ولا قبيحا قلنا فيفعل عند الحاجة لأن مجرد الاحتمال لا يعارض تنجز الاحتياج ويترك عند عدمها للاحتياط ·

أجاب التفتازاني على ذلك بقوله : " ان ما يوافق العقل قد يستقل بمعرفته فيعاضده النبي ويؤكده بمنزل الأدلة العقلية على مدلول الواحد وقد لا يستقل فيدله عليه ويرشده وما يخالف العقل قد لا يكون مع الجزم فيدفعه النبي أو يرفع عنه الاحتمال ، وما لا يدرك حسنه ولا قبحه قد يكون حسنا يجب فعله أو قبيحا

---

(١) شرح المقاصد ج٤ ص ١٧٥

يجب تركه ، هذا مع أن العقول متفاوتة ، فالتفويض إليها مظنة التنازع والتقاتل ومفض الى اختلال النظام وان فوائد البعثة لا تنحصر في بيان حسن الأشياء وقبحها

الثالثة : أن العمدة في باب البعثة هي التكليف ، وعبث لا يليق بالحكيم إذ لا يشتمل على فائدة للعبد لكونه في حقه مضرة ناجزة ومشقة ظاهرة ، ولا للمعبود لتعاليه على الاستفادة والانتفاع وأيضا فيه شغل للقلب عما هو غاية الأعمال ونهاية الكمال اعني الاستغراق في معرفته يجيب التفتازاني على ذلك بقوله : " ان مضاره الناجزة قليلة جدا بالنسبة إلى منافعها الدنيوية والأخروية الظاهرة لدى الواقفين على ظواهر الشريعة فضلا عن الكاشفين عن أسرارها الخفية وإذا تأملتم فالتكليف صرف إلى ما ذكرتم لا شغل عنه على ما توهمتم .

الرابعة : وهي لأهل الخلاعة المنهمكين في اتباع الهوى وترك الطاعة انا نجد الشرائع مشتملة على أفعال وهيئات لا يشك في أن الصانع الحكيم لا يعتبرها ولا يأمر بها كما نشاهد في الحج والصلاة ، وكغسل بعض الأعضاء وتلوث البعض الآخر إلى غير ذلك من الأمور الخارجة عن قانون العقل .

والجواب على ذلك :

انها أمور تعبدية اعتبرها الشارع ابتلاء للمكلفين وتطويعا لنفوسهم وتأكيدا لملكة امتثالهم للأوامر والنواهي ولعل فيها حكما ومصالح لا يعلمها إلا الله(1) .

وإذا كانت النبوة عند المقرين بها لطف وإحسان ورحمة وإنعام، وإن اختلفوا في جوازها ووجوبها؛ وذلك لما فيها من الحكم والمصالح التي لا تحصى ولا تعد، فإن الحاجة إليها تكون ماسة وملحة، وهو ما نتحدث عنه من خلال النقطة التالية:

ثانيا: حاجة البشر إلى النبوة والرسالة

خلق الله الإنسان وميزه على سائر مخلوقاته بالعقل، كي يفرق به بين الحق والباطل، ويتعرف على الخير والشر، فيعرف ما يفعله فيفعله وما يضره فيتركه. ولكن هل يستطيع الإنسان الاكتفاء بالعقل وحده في التعرف على كل ما في هذا الكون الفسيح من حق وباطل وخير وشر ونافع وضار؟

---

(١) شرح المقاصد للتفتازاني ص٢٧٢ ج ٢ ط دار الكتب العلمية بيروت

إن الإنسان الذي يعجز عن التعرف على أسرار نفسه ومكوناته، وأنه (الإنسان) بالعقل الذي يعجز عن إدراك ماهيته؛ أعجز عن إدراك كل ما حوله مما في هذا العالم وما وراءه.

كما أن الإنسان كائن اجتماعي لا يستطيع العيش وحده، وإنما يحتاج إلى غيره، كان أنهم يحتاجون إليه في أمور شتي لا تقف عند حد معين، بل تتعدد وتتنوع كما تعددت مطالب الإنسان وتنوعت حاجته.

ولكي يعيش الناس مع بعضٍ دون فوضي واضطراب كان لابد أن يدركوا ما عليهم من واجبات وما لهم من حقوق، فيلتزمون، بمقتضيات هذه الواجبات والحقوق دون إخلال أو تقصير، وهذا مالا يتم إلا بوجود قوانين تنظم للناس حياتهم وعلاقاتهم ببعضهم، وتضع موازين للحكم على الأعمال حتى تتم المجازاة والمحاسبة على ضوء هذا الحكم.

ونظرا لأن عقل الإنسان غير كاف في أن يضع للناس قانونا عاما يقوم على العدل والمساواة ويحفظهم من التناحر والضلال؛ كان لابد من قانون إلهي يخضع له المجتمع.

ولما كان الناس لا يستطيعون أن يتلقون هذه القوانين مباشره عن الله - تعالى- تجلت رحمة الله عليهم بأن بعث من بينهم أفراداً يبلغون عن الله قوانينه، يبشرون من يعمل بها وينذرون من يخالفها، فيقف الإنسان على عاقبة الفعل قبل أن يفعله وفى هذا ما يكفل للبشرية استقامتها وتوازنها ويحفظها من الانحراف الاضطراب.

وإذا كان الإنسان كائناً اجتماعيا؛ فإنه أيضا كائن متدين، فلم توجد جماعه في التاريخ الإنساني بكل مراحله خلت من دين؛ لأن التدين غريزة أصلية في الإنسان يصعب تصور تخلفها إلا في حالات استثنائية، وحتى لا يتيه الإنسان ويتخبط في توجهه للذات المستحقة للعبادة، وما تتحلى به من صفات وما تتنزه عنه من صفات لا تليق به، كان لابد من وسائط بين الله وبين خلقه يبلغونهم عن الله أوامره ونواهيه وكمالاته وطُرق عبادته.

وبالجملة: العلاقة بين الله وبين عباده مما تتقاصر عن إدراكها العقول البشرية على الوجة المطلوب؛ لذلك كانت بعثة الرسل لتضع الإنسان على التصور

الصحيح لله رب العالمين بعيدا عن تجسيدات المشبهين، وتجريديات المعطلين، وتأخذ بيديه إلى الخضوع الكامل والعبادة الخاصة لله رب العالمين.

وبذلك تنقطع أعذار المكلفين وتقام عليهم الحجة بين يدي رب العالمين، فلا يتسنى لهم أن يقولوا بين يديه﴿ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى﴾ (١).

ومن ذلك تتضح حاجة البشرية الماسة للنبوة والرسالة لما فيها من فوائد شتى سواء في أمور الدنيا أو في امور الآخرة، والإنسان مهما أوتى من عقل لا يمكن له إلا أن يدرك طرفا من هذه الفوائد دون أن يحصيها. ولعل أهم هذه الفوائد والمصالح التي لا غنى عنها والتي لا يمكن لهم الوقوف عليها إلا من خلال بعثة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ما يلي:

معاضدة العقل فيما يستقل بمعرفته، مثل وجود الإله سبحانه وعلمه وقدرته.

ومنها: استفادة الحكم فيما لا يستقل به العقل، مثل المعاد الجسماني والحساب.

ومنها: بيان حال الأفعال التي تحسن تارة وتقبح أخرى من غير اهتداء العقل إلي مواقعتها.

ومنها: بيان منافع الأغذية والأدوية ومضارها التي تحسن تارة وتقبح أخرى من غير اهتداء العقل إلى مواقعها.

ومنها: تكميل النفوس البشرية بحسب استعداداتهم المختلفة في العلميات والعمليات.

ومنها: تعليم الصنائع الخفيفة من الحاجيات والضروريات.

ومنها: تعليمهم الأخلاق الفاضلة الراجعة إلى الأشخاص والسياسات الكاملة العائدة إلى الجماعات في المنازل والمدن .

---

(١) سورة طه .جزء أيه(١٣٤).وراجع . النبوات . د/عبد العزيز يوسف النصر ص ٦٧ - ٨٠ ضمن أبحاث كتاب: أصول العقيدة الإسلامية والأخلاق. تأليف لجنة من أساتذة قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين الناشر مكتبة الأزهر ط الأولى ١٣٩٤هـ - ١٩٧٥م.

ومنها: الإخبار بتفاصيل ثواب المطيع وعقاب العاصي ترغيبا في الحسنات وتحذيرا من السيئات، إلى غير ذلك من الفوائد.

وإذا أراد الإنسان أن يتعرف على وجه الحاجة للرسالة فلابد له أن يتعرف على حقيقة الإنسان وما تكتنف حياته من صعوبات ٠

فالإنسان مجبول على ملكات معينة لا يستقيم في حياته دونها وخير ما ينمي هذه الملكات ويجعلها غير مفككة هي رسالة الله الواحد الأحد الفرد الصمد لهذا الإنسان المخلوق الضعيف

ثانيا : أن المرء في حياته في صراع بين نوازع الخير والشر وإذا ترك الإنسان على حالته هذه تفتت ذاته وفسد بناؤه فهو إذا محتاج الى قانون شرعي لكي يعرف الخير من الشر وليس هناك من ضابط أفضل من القانون الإلهي المعصوم الذي يتلقى في رسالة الله إلى خلقه ٠

ثالثا : أن الشخص مجبول بفطرته على الاجتماع إلى أشخاص غيره لأداء حاجته وقضاء مطالبه وأداء رسالته فلا بد له من منظم ينظم علاقته بالآخرين ٠

رابعا : أن كل إنسان متدين بفطرته ومجبول على الطاعة والولاء لله رب العالمين الذي خلقه فسواه وليس هناك من مثار لتبيين هذه العلاقة وإيضاح معالمها غير رسالات الله لعباده ٠

خامسا : إن المرء مجبول على الإحساس بقوة غريبة مهيمنة عليه وليس هناك من سبيل لإيضاح عالم الغيب سوى سبيل الهداية الربانية الخلاقة [1]٠

فالرسالات الإلهية هي خير وسيلة لبناء المرء ذاته وتدعيم لباب المجتمع في بنائه ومهما بحث الباحثون وفكر المفكرون والمصلحون فإنهم لن يستطيعوا أن يصلوا إلى حقيقة من الحقائق التي جاء بها المرسلون ٠

فهم بمثابة الروح من البدن ومن هنا نرى أن حاجة الناس إلى الرسل تتمثل في الآتي :

١- أن الناس لو تركوا لأنفسهم دونما تنبيه أو إرشاد لظلوا في الضلالات يتيهون وذلك بسبب اندفاعهم وراء غرائزهم وشهواتهم ٠

---

(١) رسالة التوحيد ص٦٩ – محمد عبده – ط دار الهلال

٢- إن الدنيا محل ابتلاء واختبار وقد خلق الله الخلق ليختبر إرادتهم وليبلوهم أيهم أحسن عملا فلو لم تكن هناك رسالة لوجد الناس عذرا يعتذرون به لربهم عن كفرهم ومخالفتهم إياه ولضاعت الحكمة من ابتلاء الناس واختبارهم ٠

٣- أن الناس لا يستطيعون أن يتوصلوا إلى جميع الخيرات والفضائل الإنسانية والكمالات الخلقية ويتفقوا عليها وان عوامل غرائزهم وأهوائهم تصرفهم عن الحق والخير ومن ثم فهم بحاجة الى الرسل ليعلموهم ويبشرونهم وينذرونهم٠

٤- إن كثيرا من الحقائق الغيبية التي لا استغناء عنها في إصلاح الناس وتهذيب سلوكهم في الحياة لا يمكن للعقل البشري أن يصل إليها أو يتعرف عليها بنفسه بل لابد من معونة الوحي والوحي لن يكون إلا لرسل الله ولولا الرسل لبقيت هذه الحقائق الغيبية في سجوف الغيب ٠

٥- أن الناس دائما بحاجة إلى قدوة حسنة ومخلصة بها ينصلح حال المجتمعات وهذه الشخصية المثالية أو القدوة الحسنة لن تكون إلا في رسل الله٠ وهؤلاء الرسل هم القدوة الحسنة والأسوة الصالحة لجميع البشر وقد أمرنا الله بالاقتداء بهم والسير على مناهجهم ٠

وما ذكرناه من فوائد البعثة قليل من كثير، و إلا ما استطاع قلم أن يحصيها.

ولما كانت البعثة مشتملة على هذه الفوائد وغيرها، وكان على رأس هذه الفوائد ما ذكره المتكلمون من معاضدة العقل فيما يستقل بمعرفته مثل وجود الله – سبحانه وتعالى- وصفاته؛ فإنه يتبين لنا مدي أهميه بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام منذ نبي الله ادم علية السلام وحتى خاتم الأنبياء محمد- ﷺ- ، وفي هذا ما يدعونا إلى الحديث عن الإيمان بالأنبياء والرسل –عليهم الصلاة والسلام– وبيان ما يجب لهم من صفات وما يستحيل عليهم وما يجوز في حقهم، من خلال المبحث التالي ،،،،

المبحث الثاني

الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وصفاتهم

نستهل حديثنا عن الأنبياء والر ل عليهم الصلاة والسلام بذكر تعريف اصطلاحي لكل منهما، حتى يتسنى لنا التفرقة بين كل منهما.

وقبل أن نعرض للتعريف الاصطلاحي للنبي والرسول أود أن أقف بإيجاز على الأصل اللغوي لكل منهما، حتى يتضح التعريف في اللغة والاصطلاح.

فالنبي في اللغة مهموز وغير مهموز، لأنه إما من (نبأ) المهموز، أو من (نبا) بدون همز.

فالمهموز مأخوذ من النبأ أو النبوة بمعنى الخبر، فيكون النبي بمعنى المنبئ، أي المخبر عن الله – تعالى – إذ هو المتلقى لوحي السماء كما في قوله تعالى: ﴿ عَمَّ يَتَسَاءلُونَ{١} عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ{٢} الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴾ [١]، والنبأ العظيم يفسر إما بالقيامة وهو الأقرب، أو بالقرآن الكريم، أو هو الرسول – ﷺ – .

فالنبي أصله (النبئ) قلبت الهمزة واوا فصارت الكلمة (النبيو) وقلبت الواو ياء ثم أدغمت الياء في الياء فصارت الكلمة (النبيّ).

وعلى هذا الأصل اللغوي (للنبي) رأى بعض المتكلمين أن النبي والرسول بمعنى واحد، فالنبي هو المخبر عن الله والرسول هو المرسل من عند الله تعالى إلى الخلق ليخبرهم بالشريعة.

واما أن يكون النبي غير مهموز فيكون مأخوذ من (النبوة) أو من (النباوه) بمعنى الارتفاع، فالنبوة رفعة كما يقال نبا الشيء إذا ارتفع، فالنبي مرتفع عن البشر لعلو شأنه وشرفه على الخلائق وهو الرفيع المنزلة عند الله تعالى.

وإما أن يكون (النبي) مأخوذا من النبي بمعنى الطريق الواضح، لكونه وسيلة إلى الحق تعالى، ومنه قيل للرسل أنبياء لكونهم طريق الهداية إلى الله عز وجل[٢].

---

(١) سورة النبأ، الآيات (١– ٦).

(٢) راجع: لسان العرب لأبن منظور، مادة (نبا ونبأ) (٤٣١٥/٦، ٤٣١٦) ط. دار المعارف، بدون. وراجع: شرح المقصود (٢٦٧/٣). وراجع: النبوات والسمعيات من مباحث علم الكلام، د/ محي الدين الصافي، ص ٤ – ٥، بدون.

وأما الرسول في اللغة فإنه من الألفاظ العامة، حيث إنه يقال في إرسال الملائكة، وإرسال إنسان، وفي الأشياء المحبوبة والمكروهة، ويكون بالتسخير والتسليط، وببعث من له اختيار.

والرسول: اسم من ارسلت، فعول بمعنى مفعول، يستعمل بلفظ واحد للمذكر والمؤنث، والمثنى والمجموع، ويجوز فيه التثنية والجمع.

والرسول: الرسالة ، يذكر ويؤنث، وسمى الرسول رسولا لأنه ذو رسول أي ذو رسالة.

والرسول: المتابع لأخبار باعثه، أخذا من قولهم: جاءت الإبل رسلا أي متتابعة[1].

لذلك قيل: إن الرسول هو: (الذي يتتابع عليه الوحي من رسل اللبن إذا تتابع دره، وعلى هذا جرى من فرق بينهما)[2].

وقد تعرض الشيخ حسين الجسر لتعريف النبي والرسول اصطلاحا دون ان يقف على الأصل اللغوي لهما، وهاك تعريفه الذي قال فيه:

{ أعلم أن الرسول هو انسان ذكر حر أوحى الله تعالى إليه بشرع وأمره بتبليغه للخلق ، وإن لم يؤمر بالتبليغ يسمى نبيا فقط }[3].

وكما هو واضح من تعريف الشيخ الجسر للنبي والرسول أنه يأخذ برأي من يرى التفرقة بينهما، كما أنه يأخذ برأي من يرى أن الفرق بين النبي والرسول هو المأمور بالتبليغ بالنسبة للرسول وعدمه بالنسبة للنبي، كما أنه يسوى بينهما في مسألتي الوحي والشرع ، فكلاهما أوحي الله تعالى إليه بشرع.

وما ذهب إليه الشيخ من التفرقة بين النبي والرسول أولا، ومن أن الفرق بينهما هو الأمر بالتبليغ في الرسول وعدمه في النبي ثانيا، وهو رأي جمهور الأشاعرة وغيرهم ممن ذهبوا إلى أن حقيقة النبي تغاير حقيقة الرسول، وأن العلاقة بينهما هي العموم والخصوص المطلق، فرأوا أن النبي من أوحى الله إليه بشرع سواء

---

(١) راجع : لسان العرب ، مادة (رسل) (٣/ ١٦٤٤ ، ١٦٤٥) .

(٢) النبوات والسمعيات، د/الصافي ، ص ٥ .

(٣) الحصون الحميدية ، ص ٣٢ .

كلفه بتبليغه أو لا، فإن كلفه بتبليغه فهو رسول، وعلى ذلك يكون كل رسول نبي، وليس كل نبي رسول [١].

وقد استحسن شارح الطحاوية التفرقة بين النبي والرسول بالأمر بالتبليغ في الرسول وعدم الأمر به في النبي، فقال: (وقد ذكروا فروقا بين النبي والرسول، وأحسنها: أن من نبأه الله بخبر السماء إن أمره أن يبلغ غيره فهو نبي ورسول، وإن لم يأمره أن يبلغ غيره فهو نبي وليس برسول.

فالرسول أخص من النبي فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولا، ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها، فالنبوة جزء من الرسالة، إذا الرسالة تتناول النبوة وغيرها، بخلاف الرسل فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم بل الأمر بالعكس، فالرسول أعم من جهة نفسها وأخص من جهة أهلها [٢].

وما ذهب إليه الشيخ الجسر من القول بالتفرقة بين النبي والرسول فيه متابعة لجمهور المتكلمين من الأشاعرة وغيرهم ممن يذهبون إلى التفرقة بين النبي والرسول، وفيه مخالفة لمن ذهب من المعتزلة إلى أنهما بمعنى واحد [٣].

كما أن قوله بأن الفرق بينهما ينحصر في الأمر بالتبليغ في الرسول وعدم الأمر في النبي فيه متابعة لجمهور الأشاعرة وغيرهم كما اتضح، وفيه مخالفة لمن ذهب إلى أن الفرق بينهما يكون بأمور أخرى أوردها عنهم الإمام الرازي [٤]، عند

---

(١) راجع : كتاب أصول الدين ، تأليف الإمام أب منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي، ص ١٥٤ ، تحقيق لجنة إحياء التراث ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت .

(٢) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ، تأليف صدر الدين علي بن محمد أبي العز الحنفي ، ص ١١٧ تحقيق / أحمد محمد شاكر ، طبع ونشر وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٨ هـ.

(٣) راجع : شرح الأصول الخمسة ، ص ٥٦٧ ، ٥٦٨ .

(٤) الرازي هو : فخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن القرشي الطبرستاني الرازي المولد ، ولد سنة ٥٤٣هـ ، وقيل سنة ٥٤٤هـ ، وله مؤلفات عديدة من اهمها : التفسير الكبير والأربعين في أصول الدين ، والمطالب العالية ، وغيرها ، توفي سنة ٦٠٦ هـ ، راجع الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين ، تأليف / خير الدين الزركلي (٣ / ١١٠) مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ط / الثالثة ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

تفسير قول الله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾[1]، بقوله : (وقد ذكروا في الفرق بين النبي والرسول أمورا :

أحدهما: أن الرسول من الأنبياء من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل إليه، والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وإنما أمر أن يدعو إلى كتاب من قبله.

الثاني: أن من كان صاحب المعجزة وصاحب الكتاب ونسخ شرع من قبله فهو الرسول، ومن لم يكن مستجمعا لهذه الخصال فهو النبي غير الرسول.

الثالث: أن من جاءه الملك ظاهرا وأمره بدعوة الخلق فهو الرسول، ومن لم يكن كذلك بل رأى في النوم كونه رسولا وأخبره أحد من الرسل بأنه رسول فهو النبي الذي لا يكون رسولا...)[2].

ولم تسلم هذه الفروق الثلاثة التي عرض لها الرازي من النقد، وقد تناولها الدكتور/ محمد سيد أحمد المسير مبينا أن هذه الفروق لا يساندها نص شرعي، ولا يساعد عليها دليل، وإنها مجرد افتراضات لم تلتمس الواقع متناولا كلا منها على حده مبينا عدم واقعية هذه الفروق التي ذكرها الرازي[3].

وأما ما ذكره الشيخ الجسر من الفرق بين النبي والرسول في الأمر بالتبليغ في الرسول وعدمه في النبي فهو الآخر لم يسلم من النقد ، فقد رأى الإمام الألوسي[4]، أن المقابلة في آية سورة الحج : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ بين النبي والرسول لا تحقق بالتفرقة بينهما بمسألة التبليغ، وذلك لأن المشهور في عرف الشرع أن النبي أعم من الرسول،

---

(١) سورة الحج ، الآيات (٥٢) .

(٢) التفسير الكبير ، الرازي (٢٣ / ٢٣٦) دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط الثانية ، ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م .

(٣) الرسالة والرسل في العقيدة الاسلامية ، د / محمد سيد أحمد المسير ، ص ٦٣ ، ٦٤ ، دار البيان، مكتبة الصفا ، ط الأولى ، ١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠١ م .

(٤) الألوسي هو : محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي شهاب الدين أبو الثناء ، ولد ببغداد سنة ١٢١٧هـ ١٩٠٢ م ، واشتهر بسعة علمه في التفسير والحديث والفقة والأدب والنحو ، وتقلد الإفتاء ببغداد ، وتوفي بها سنة ١٢٧٠ هـ ١٨٨٤٥م ، تاركا وراءه تصنيف كثيرة منها : روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ، كشف الطيرة عن العزة في شرح الدرة للحريري ، وغيرها ، راجع : معجم المؤلفين= =تراجم مصنفى الكتب العربية ، عمر رضا كحالة ، (١٢ / ١٧٥) ، دار إحياء التراث العربي ، مكتبة المثنى ، بيروت بدون .

لأن النبي هو: من أحي إليه سواء أمر بالتبليغ أو لم يؤمر، والرسول: هو من أوحى إليه وأمر بالتبليغ ....، ولا يصح إرادة ذلك، لأنه إذا قوبل العام بالخاص فإنه يراد بالعام (النبي) ما عدا الخاص (الرسول)، فمتى أريد بالنبي ما عدا الرسول كان المراد به لم يؤمر بالتبليغ، حيث تعلق به الإرسال صار مأمورا بالتبليغ فيكون رسولا، فلم يبق في الآية بعد تعلق الإرسال رسول ونبي مقابل له.

ولذلك رأي أن هذا الفرق لا يصلح للتفرقة بين النبي والرسول وإنما هناك فرقا آخر بينهما رأي الألوسي أنه يصلح للتفرقة بين النبي والرسول وهو الشريعة المجددة التي يأتي بها الرسول بخلاف النبي الذي يبعث لتقرير من قبله[1].

كما رأى الدكتور المسير أن (التفريق بين النبي والرسول بمسألة التبليغ وعدمه لا يعرف اصطلاحا شرعيا، ولا يعرف كمعنى لغوي، فإن اشتقاق لفظ النبي من النبأ: يقال نبأ ونبأ وأنبأ أي أخبر، فالنبي فعيل بمعنى فاعل أي منبأ بما أطلعه الله تعالى عليه، ولو قلنا: إنه فعيل بمعنى مفعول أي منبئا بالغيب أي أنبأه الله، فهذا لا ينافي التبليغ والإرسال.

ولو كان لفظ النبي مأخوذا من النبوة (بفتح وسكون) وهو ما ارتفع من الأرض، فالمعنى أن النبي مرتفع عن سائر الخلق بما اصطفاه الله من الوحي والشرع، فهو يؤكد الرسالة والتبليغ[2].

ومن ثم انتهى الدكتور المسير بعد رفضه لهذه الفروق التي قدمها العلماء على التفرقة بين النبي والرسول إلى أنهما بمعنى واحد، وفي ذلك يقول: (والذي نراه أقرب إلى التصور أن الرسول والنبي كليهما يطلق على شخص واحد، وكل رسول نبي وكل نبي رسول، وعطف أحدهما على الآخر لا يدل على التغاير في الماصدق، وإنما يدل على اختلافهما في المفهوم[3]، كاللفظين المترادفين (إنسان

---

(١) راجع : روح المعاني للألوسي (٧٣/٩) إدارة الطباعة المنيرية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، بدون .

(٢) الرسالة والرسل في العقيدة الاسلامية ، ص ٦٣ .

(٣) دلالة المفهوم هي : دلالة اللفظ على المعنى المقصود الذي وضع له اللفظ ، ودلالة الماصدق هي دلالة اللفظ على الأفراد الذين يطلق عليهم هذا اللفظ ، فلفظ إنسان مفهوم أنه حيوان ناطق ، ويصدق هذا على أفراده مثل محمد وأحمد وهند وسعاد وإلخ ، من كتاب : الرسالة والرسل / د/ المسير ، ص ٦٤ ، حاشية رقم (٣) .

وبشر) يطلقان على شخص واحد كمحمد أو أحمد أو إبراهيم، ولكن لكل منهما وجه دلالة على معنى خاص ، به كان الشخص إنسانا أو بشرا) [1].

وبعد أن ذكر أن كل رسول نبي وكل نبي رسول وانهما بمعنى واحد كاللفظين المترادفين اللذين يطلقان على أمر واحد، عاد فذكر رأيا لبعض المحققين الذين يرون (أنه لا ترادف في اللغة العربية) وإنما لكل لفظ دلالته الخاصة.

ومن هنا فالنبي من الإنباء، وهو من أنباه الله أو أنبأ عن الله والرسول من الإرسال وهو المبعوث من الخالق إلى الخلق، فالنبوة تمثل علاقة الإنسان المصطفى والخالق، والرسالة تمثل علاقة بين الإنسان المصطفى والخلق.

أو أن النبي يمثل وصفا شخصيا للإنسان المصطفى لارتفاع منزلته وسمو مكانته، من النبوة (بفتح وسكون) وهي ما ارتفع من الأرض.... والرسول يمثل تتابع الوحي على الإنسان المصطفى، من قولهم: رسل اللبن إذا تتابع دره [2].

وأرى أن ما ذكره فضيلة الدكتور المسير من رأي بعض المحققين يؤكد وجود فرق بين النبي والرسول، فإن فضيلته أورد عنهم احتمالين الأول: أن النبوة تمثل علاقة بين الإنسان المصطفى والخالق، والرسالة تمثل علاقة بين الانسان المصطفى والخلق، فالعلاقة حينما تكون بين الانسان المصطفى والخالق تكون النبوة حيث لا يوجد التبليغ الذي يجعل العلاقة بين الإنسان المصطفى والخلق كما في الرسول، ومن ثم فإني أرى أن ما ذكره فضيلته عنهم في الاحتمال الأول يدل على وجود فرق التبليغ، وحيث لا يوجد التبليغ تكون النبوة وصفا شخصيا كما يدل عليه الاحتمال الثاني.

ولذلك أرى أن ما ذكره الدكتور المسير عن بعض المحققين واستشهد به على عدم وجود فرق بين النبي والرسول لا يوافق منطوق ومفهوم ما ذكره عنهم، ومن ثم أرى انه يؤكد وجود الفرق بين النبي والرسول، وهذا الفرق هو التبليغ.

وعلى هذا أقول:

---

(١) المرجع السابق ، ص ٦٤ .

(٢) الرسالة والرسل في العقيدة الإسلامية ، ص ٦٥ .

لو كان كل رسول نبي وكل نبي رسول فكيف نفسر العطف الوارد في آية سورة الحج بين الرسول والنبي ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ إلا أن العطف يقتضي المغايرة ، لأنه لا ترادف في اللغة العربية كما رأى بعض المحققين الذين ذكر الدكتور المسير رأيهم فيما سبق .

لو كان كل رسول نبي وكان نبي رسول فكيف نوفق بين هذا الرأي وبين ما جاء في الحديث الذي نص على زيادة عدد الأنبياء على عدد الرسل، فقد أخرج الإمام أحمد بسنده عن أبي أمامة، قال: قال أبو ذر: (قلت يا رسول الله كم وفي عدد الأنبياء ؟ قال: (مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، الرسول من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا)(١) .

ولو كان كل رسول نبي وكل نبي رسول ما أنكر الرسول ﷺ على البراء بن عازب حين عبر بلفظ الرسالة بدلا من لفظ النبوة في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن البراء بن عازب رضي الله عنه واللفظ للبخاري ، قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل: اللهم أسلمت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت، فإن مت مت على الفطرة، فاجعلهن آخر ما تقول). فقلت أستذكرهن: وبرسولك الذي أرسلت، قال: (لا، ونبيك الذي أرسلت) (٢).

فهذه اعتبارات أساسية ينبغي مراعاتها في مسألة التفرقة بين النبي والرسول ولا ينبغي تجاهلها. وإذا كانت معظم الفروق التي ذكرها المتكلمون لا تسلم من النقد، بل إنها -كما ذكر الدكتور المسير- لا يساندها نص شرعي ولا يساعد عليها دليل، وأنها مجرد افتراضات لم تتلمس الواقع؛ فإن هذا لا يقدح في أصل

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل (٦ / ٣٥٦) ط : دار إحياء التراث .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الدعوات. باب الضجع على الشق الأيمن (١١ / ١١٢ فتح الباري) رقم (٦٣١٠) دار الريان للتراث . القاهرة . ط الثانية ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م . وأخرجه مسلم في صحيحه= كتاب الذكر والدعاء . باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع (٣٠/٩ النووي) دار الفكر للطباعة والنشر بيروت. لبنان ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .

التفرقة، فقد تكون الفروق غير صحيحة مع أن التفرقة صحيحة، فكما أن بطلان الدليل لا يدل على بطلان المدلول، فكذلك عدم صحة الفروق لا يدل علي عدم صحة التفرقة، فإذا كانت معظم الفروق السابقة التي ذكرها المتكلمون لم تسلم من النقد فهذا لا يعني انعدام الفروق التي تفصل بين النبي والرسول.

... كانت كل الفروق لم تسلم من النقد فهذا لا يعني أن النقد صحيح ولا يمكن مناقشته.

وما أميل إليه هو أن فرق الأمر بالتبليغ وعدمه بين الرسول والنبي الذي أخذ به الشيخ الجسر – كما هو واضح من تعريفه النبي والرسول – هو أولي بالقبول.

وذلك راجع – في تصوري – لعدة أمور، منها :

١- أن معظم ما وجه إلي الفروق الأخرى من اعتراضات وردود من قبل الذين يوحدون بين النبي والرسول ومن قبل الذين يفرقون بينهما لا يمكن تجاهلها، وذلك لمخالفة هذه الفروق للواقع ونفس الأمر.

بخلاف ما وجه إلي الفرق التبليغ فإنه يمكن مناقشته وبيان عدم صحته، ومن أوجه النقد هذه ما وجهه الألوسي والدكتور المسير إلي هذا الفرق من نقد فإن ما ذكره الألوسي من نقد لهذا الفرق وهو أنه بعد تعلق الإرسال بالنبي والرسول لم يبق في آية سورة الحج { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ } مقابلة بين النبي والرسول؛ يمكن الرد عليه بأنا نقول ببقاء المقابلة بين النبي والرسول مع تعلق الإرسال بكل منهما؛ لأن المراد بالنبي في الآية هو المرسل الذي ليس برسول على الإطلاق فليس في تعلق الإرسال بهما دليل على أنهما بمعني واحد، فيكون النبي الذي تعلق به الإرسال رسولاً ؛ وذلك لأنه يلزم على ذلك أن يكون كل ما تعلق به الإرسال رسولاً وهو خلاف الواقع، فقد (ثبت الإرسال لأشياء كثيرة جداً عاقلة وغير عاقلة، ذكرها الله تعالي في كتابه الكريم، مما لا يختلف على عدم صحة تسميتها بالنبوة. من ذلك إرسال المطر [1]، والطوفان

---

(١) كما في سورة الأنعام . آية (٦) : { أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ ... }.

والجراد والقمل والضفادع والدم [١]، والسيل [٢]، والرجز [٣]، والريح [٤]، والجنود [٥]، والشياطين [٦]، والحاصب [٧]، والصيحة [٨]، وغير ذلك.

وهذا كله مرسل ولا يسمي رسولاً عند الإطلاق، كما لا يضاف إلي الله – تعالي، فلا يقال عن شيء من ذلك: إنه رسول الله كما يقال في حق الرسول من البشر ومن الملائكة ممن يصطفيهم الله –تعالي– لذلك قال تعالي: { اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } [٩]، كجبريل - عليه السلام– ومحمد –صلي الله عليه وسلم– ممن شرفهم الله - تعالي– بحمل رسالته) [١٠].

فتعلق الإرسال بما ذكر من أشياء غير الملائكة والبشر لتفعيل فعلاً من الأفعال وليس لأداء رسالة الله [١١].

ومن ثم فإن تعلق الإرسال ليس أنه رسول؛ لان (وصف النبوة سابق على وصف الرسالة؛ وعليه فقد يرسل وقد يبقي نبياً فقط، وهو الغالب كما هو واقع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام) [١٢].

---

(١) كما في سورة الأعراف . آية (١٣٣) : { فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ }

(٢) كما في سورة سبأ . آية (١٦) : { فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ }

(٣) كما في سورة الأعراف . آية (١٦٢) : { فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ }

(٤) جاءت بصيغة الجمع كما في سورة الحجر . آية (٢٢): { وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ }.

(٥) كما في سورة الأحزاب . آية (٩) : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً }.

(٦) كما في سورة مريم . آية (٨٣) : { أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً }

(٧) كما في سورة القمر . آية (٣٤) : { إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ }

(٨) كما في سورة القمر . آية (٣١) : { إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ }

(٩) سورة الحج آية (٧٥) .

(١٠) النبي والرسول . د/ أحمد بن ناصر بن محمد آل حمد صد ٤٨ ، ٤٩ مكتبة القدس الزلفي ط الأولي ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م .

(١١) راجع ، كتاب النبوات . ابن تيمية صد ١٧٣ ، ١٧٤ ط إدارة الطباعة المنيرية بمصر ط الأولي ١٣٤٦ هـ.

(١٢) النبي والرسول . د/ أحمد بن ناصر صد ٤٩ .

ومن ثم فالمقابلة بين الرسول والنبي في آية سورة الحج بالنفي وعطف النبوة على الرسالة في الآية هو من باب عطف العام على الخاص؛ ولا يلزم من تعلق الإرسال بالنبي أن يصير مأموراً بالتبليغ.

وأما ما ذكره الدكتور السير وغيره ممن يوحدون بين النبي والرسول من الاستناد إلى اللغة فيمكن توجيهه بأنه في حالة ذكر كل منهما منفرداً يكون معناهما واحد، أما إذا وردا مجتمعين فيفسر كل واحد منهما بما تحدد من عرف الشرع والاستعمال [1].

وأما ما ذكره فضيلته من أن التفرقة بين النبي والرسول بفارق التبليغ لم تعرف اصطلاحاً شرعياً؛ فإن الواقع يؤكد أن التفرقة قد عرفت في اصطلاح المتكلمين الذين يقولون بالتفرقة، فقد ذهب كثير من المتكلمين إلى القول بالتفرقة بين النبي والرسول بفارق الأمر بالتبليغ في الرسول وعدمه في النبي [2].

بالإضافة إلى ((أن أكثر العلماء الذين فرقوا بين النبي والرسول لا يختلفون مع أصحاب هذا الفرق فيما يتعلق بأمر النبوة [3])) [4]، حتى عرف الفرق بالتبليغ اصطلاحاً لديهم، فقد تضمنته معظم تعريفاتهم للنبوة والرسالة إما على سبيل الانفراد، وإما مع غيره من فروق أخرى ذكروها في الفرق بين النبي والرسول.

---

(1) راجع النبي والرسول ـ د/ أحمد بن ناصر بن محمد آل حمد صـ ٥٦، ٥٧ .

(2) راجع على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

(أ) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ـ القرطبي صـ ٢٣٧، ٢٣٨ تقديم وتحقيق وتعليق د/ أحمد حجازي السقا ـ دار التراث العربي ـ القاهرة ـ بدون .

(ب) شرح الطحاوية صـ ١١٧ . (جـ) كتاب النبوات ـ ابن تيمية صـ ١٧٢، ١٧٣ إدارة الطباعة المنيرية ـ بمصر ـ ط الأولى ١٣٤٦ .

(د) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ـ شيخ الإسلام إبراهيم البيجوري صـ ١٦ ط الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦ م .

(3) مثل الإمام الشافعي، والزمخشري، والبيضاوي، وابن أبي العز الحنفي، وسعد الدين التفتازاني .

(4) النبي والرسول ـ د/ أحمد بن ناصر بن محمد بن آل حمد صـ ٩٧ .

شروط النبوة

بمطالعة تعريف الشيخ حسين الجسر للرسول والنبي -سالف الذكر- يتضح أنه ضمنه بعض شروط النبوة، حيث جاء في تعريفه للنبي والرسول بيان القدر المشترك بينهما وبيان وجه الاختلاف بينهما، وما ذكره في القدر المشترك بينهما هو بعض الشروط التي ذكرها العلماء في الأنبياء والرسل، فقال: "اعلم أن الرسول هو إنسان ذكر حر أوحى الله -تعالي- إليه بشرع وأمره بتبليغه وإن لم يؤمر بالتبليغ يسمي نبياً فقط "(١).

فمن هذه الشروط التي ذكرها الجسر في تعريفه: البشرية، الذكورة، الحرية، الوحي إليهم بشرع.

ولم يستطرد الشيخ الجسر في بيان هذه الشروط التي ذكرها ولا في استقصاء غيرها من الفروق الأخرى التي ذكرها العلماء، وربما يعود ذلك في تصوري إلي أن معظم شروط النبوة من الأمور التي قل فيها الاختلاف.

وهذا ما يجعلني أغض الطرف عن الخوض في بحث وتفصيل هذه الشروط؛ إذ هي محل اتفاق ولم يخالف في بعضها إلا نذر يسير من العلماء ، كما هو الشأن في شرطي النبوة (البشرية والذكورية)، فهناك من خالف رأي الجمهور في قصر النبوة على الإنس، وهناك من قال بنبوة النساء، إلا أن رأي هؤلاء وهؤلاء مردود بما ذهب إليه الجمهور من قصر النبوة على الإنس والرجال دون الجن والنساء، وقد عجت كتب المتكلمين والمفسرين والمحدثين بذكر رأي هؤلاء المخالفين ومناقشتهم فيما ذهبوا إليه، الأمر الذي يدعو إلي عدم إيراده هنا مرة أخرى(٢).

حكم الإيمان بالأنبياء والرسل

يجب على كل مكلف الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام على وجه الإجمال بكل نبي ورسول لله تعالي من لدن آدم إلي نبينا محمد -ﷺ- وتفصيلاً بمن ورد ذكر أسمائهم في القرآن الكريم.

---

(١) الحصون الحميدية صـ ٣٢ .

(٢) راجع: تحفة المريد على جوهرة التوحيد صـ ١٦ ، ١٧ . وراجع : التفسير الكبير للرازي (٥٧٩/١٢) وراجع : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٦٠٦/٣ - ٢٦٠٧) دار الغد . ط الأولي ١٤٠٩ هـ ١٩٨٨م . وراجع : فتح الباري لابن حجر (٤٤٧/٦ ، ٤٧١ ، ٤٧٣) . وراجع : النبوات لابن تيمية صـ ٢٦١ .

فبعد اعتقادنا بجواز إرسالهم في حق الله تعالي وانه ليس واجباً عليه، يجب علينا اعتقاد حصول إرسالهم من لدن آدم إلي رسولنا محمد صلي الله – تعالي – عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وسلم" [١].

فيجب الإيمان بهم عن طريق الإيمان الإجمالي والتفصيلي بهم من خلال :

"الإيمان بجميع الأنبياء والرسل إجمالاً بأن يؤمن المكلف بكل نبي ورسول لله – تعالي – وبما يجب لهم وما يستحيل وما يجوز .

والأولي أن لا يعين عدداً مخصوصاً لاختلاف الروايات في عددهم، وقد قال – تعالي- : { مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ } [٢] .

لكن يجب الإيمان تفصيلاً بالرسل الذين ذكرت أسماؤهم في القرآن الشريف، وقد جمعت أسماؤهم الشريفة في هذه الأبيات:

أسماء رسل الله في القرآن ... خمس وعشرون فخذ بيان

هم آدم إدريس نوح هود ... يونس إلياس اليسع داود

إسحاق إبراهيم لوط موسي ... ذو الكفل يحي زكريا عيسي

شعيب ثم صالح أيوب ... هارون ثم يوسف يعقوب

ثم سليمان وإسماعيل ... محمد ختمهم الجليل "[٣]

كيفية الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام

إن الإيمان بالأنبياء والرسل يتحقق من خلال ما يلي:

١- الإيمان بأن الله –تعالى– أرسلهم مبشرين ومنذرين.

٢- الإيمان بأن الله – تعالى – أيدهم بالمعجزات الخارقة للعادات.

٣- الإيمان بما يجب لهم من صفات وما يجوز وما يستحيل في حقهم عليهم الصلاة والسلام.

٤- الإيمان بأن نبينا –صلي الله عليه وسلم– افضل الخلق أجمعين لا يفضله أحد من مخلوقات الله –تعالي– ثم الراجح عند العلماء أن الأفضل بعد نبينا سيدنا إبراهيم ثم سيدنا موسي ثم سيدنا عيسي ثم سيدنا نوح، وهؤلاء الأربعة مع نبينا هم أولو العزم من الرسل ثم بقية الرسل ثم الأنبياء غير الرسل وهم متفاضلون فيما بينهم عند الله تعالي[٤] .

---

(١) الحصون الحميدية صـ ٣٢ .

(٢) سورة غافر، جزء آية (٧٨) .

(٣) الحصون الحميدية صـ ٣٥ .

(٤) الحصون الحميدية صـ ٧٩ ، ٨٠ .

صفات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام

اصطفى الله تعالى من بين سائر خلقه أناسا اختصهم بحمل أمانته وتبليغ رسالته إلى سائر عباده وقد اقتضت حكمته تعالى أن يجعلهم أكمل البشر خلقا وأفضلهم علما وأشرفهم نسبا وأن يحفظهم برعايته ويكلؤهم برعايته ويربيهم على عينه كما قال تعالى مخاطبا رسولنا محمدا -ﷺ- : " واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا "[1] وكما قال لموسى -عليه السلام- : ولتصنع على عيني "[2].

وإذا تتبعنا آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن الأنبياء نجد فيها الذكر العاطر والثناء المجيد بأسلوب يتدفق بالحياة ويفيض بالبشر وينم عن الحب والإيثار ويصفهم بأسمى الصفات والمواهب العقلية والخلقية.

كل ذلك ليدل على أنهم الصفوة المختارة من خلق الله والمثل العليا الكاملة للبشرية.

قال تعالى: "وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين"[3].

وقال عن إبراهيم الخليل: "واذكر في الكتاب إبراهيم أنه كان صديقا نبيا"[4]وقال عن كليم الله موسى -عليه السلام- (قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين)[5].

وقال عن نبي الله إسماعيل -عليه السلام- (واذكر في الكتاب إسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا. وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا)[6].

وهكذا فإننا نجد القرآن الكريم حين يتحدث عن الأنبياء الكرام يصفهم بأسمى الصفات العالية وأكمل الأوصاف الغالية فيصفهم تارة بالطاعة والإنابة

---

(١) سورة الطور – جزء آية ٤٨

(٢) سورة طه جزء آية ٣٩

(٣) سورة الأنبياء آية ٧٣

(٤) سورة مريم آية ٤١

(٥) سورة الأعراف الآية ١٤٤

(٦) سورة مريم الآيات ٥٤ – ٥٥

وأخرى بالتضحية والإنابة وأخرى بالتضحية والإيثار ويذكرهم في بعض المواطن بالصدق والنزاهة وغيرها من الصفات التي تدل على الاصطفاء والاجتباء ليشير بذلك إلى علو شانهم ورفعة مكانتهم وسمو الرسالة التي بعثوا من اجلها وبذلك كانوا هداة العالم وقادة البشرية [١].

فحقيقة الإيمان بالرسل" هو أن نؤمن بأن الله –تعالى– أرسلهم مبشرين ومنذرين وأيدهم بالمعجزات الخارقة للعادات وان نؤمن بما يجب لهم وما يستحيل عليهم وما يجوز في حقهم فيجب لهم الأمانة ويستحيل عليهم الكذب والخيانة ويجب لهم الصدق ويستحيل عليهم ضدها وهو الكذب ويجب لهم الفطانة ويستحيل عليهم ضدها وهو الغفلة وعدم الفطنة ويجب لهم تبليغ ما أمرهم الله بتبليغه للخلق ويستحيل عليهم ضده وهو كتمان ذلك.

ويجوز في حقهم الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية"[٢].

ولما كان كمال الإيمان بما يجب للأنبياء والرسل وما يستحيل عليهم وما يجوز في حقهم هو أن يكون هذا الإيمان مقرونا بالدليل.

لذا نرى أن مقتضى الحديث يوجب علينا أن نبين الصفات الواجبة في حق الرسل ومن هذه الصفات الواجبة لهم وأضدادها المحالة عليهم ما يلي:

١- الأمانة: وهي حفظ الله تعالى ظواهر الأنبياء والرسل وبواطنهم من التلبس بمنهي عنه ولو كان النهي على سبيل الكراهة أو خلاف الأولى [٣].

وعلى هذا التعريف تكون الأمانة مرادفة للعصمة وهذا ما ذهب إليه الشيخ الجسر أيضا في حديثه عن الأمانة حيث يقول: " يجب للرسل الأمانة وهي العصمة ومعناها: حفظ الله ظواهرهم من التلبس بمعصية ويستحيل عليهم ضد الأمانة وهي الخيانة فهم محفوظون ظاهرا من الزنا وشرب الخمر والكذب وأمثال ذلك من المنهيات الظاهرة ومحفوظون باطنا من الحسد والكبر والرياء وأمثال ذلك من المنهيات الباطنة " [٤].

---

(١) النبوة والأنبياء. محمد على الصابوني ص ٣٨ – ٤٠ بتصرف واختصار ط الثانية ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠

(٢) الحصون الحميدية ص ٣٢.

(٣) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ١٤٢

(٤) الحصون الحميدية ص ٣٢ – ٣٣

وبذلك يتضح أن الشيخ الجسر يرى أن الأمانة منع من الخيانة فالأمانة مندرجة في العصمة والعصمة غير مقتصرة على الأمانة فإذا كانت الأمانة للنبي معناها (أن يكون النبي أمينا على الوحي يبلغ أوامر الله ونواهيه إلى عباده دون زيادة أو نقص ودون تحريف أو تبديل امتثالا لقوله تعالى: "الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا" [١]) [٢].

فإن هذا يعني أن الأمانة تلتقي مع العصمة في أن الأمانة جزء من العصمة حيث تكون الأمانة منعا من الخيانة وتنفرد العصمة في أمور أخرى كمنعهم وحفظهم من سائر الذنوب والمعاصي الأخرى الظاهرة والباطنة التي تخرج عن طور الخيانة.

وتوحد الشيخ الجسر بين مفهومي الأمانة والعصمة ربما يعود إلى انه رأى أن الأمانة بالنسبة إلى مقام النبوة تقتضي عدم تلبس ظواهرهم وبواطنهم بأي ذنب أو معصية من سائر الذنوب والمعاصي التي يعد الوقوع فيها بمثابة الخيانة بالنسبة إليهم صلوات الله عليهم وسلامه فكانت الأمانة عنده بمعنى العصمة.

ولما كانت الأمانة بمعنى العصمة عند الشيخ الجسر وضح منهجه في فهم بعض النصوص الشرعية التي يوهم ظاهرها وقوع المعصية من الأنبياء والرسل مبينا انه يقوم على قاعدة التأويل المقصور على طائفة العلماء دون غيرهم من العامة وفي ذلك يقول:

"وما أوهم من النصوص الشرعية وقوع المعصية منهم فمؤول بتأويلات حسنة مذكورة في كتب التفاسير وشروح الأحاديث النبوية".

فعلى المكلف إذا اشتبه بشيء من تلك النصوص في حق الرسل أن يرجع في تأويله إلى العلماء الأعلام ليفهم منه تأويله ويكون اعتقاده موافقا لاعتقاد أهل السنة والجماعة " [٣].

---

(١) الأحزاب الآية ٣٩

(٢) النبوة والأنبياء. الصابوني ص ٤٢

(٣) الحصون الحميدية ص ٣٣

الدليل على وجوب الأمانة للأنبياء والرسل عليهم السلام:

" والدليل على وجوب الأمانة للرسل واستحالة الخيانة عليهم: أنهم لو خانوا بفعل معصية لكنا مأمورين به لأنه تعالى أمرنا بإتباعهم في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم من غير تفصيل والله لا يأمر بالمعصية " [1].

وهذا الدليل في حقيقته دليل شرعي وان كانت صورته عقلية (لأن دليل الملازمة شرعي وبطلان التالي بدليل شرعي وهو: " إن الله لا يأمر بالفحشاء " [2]) [3].

وهكذا تبين لنا أن أول الصفات الواجبة للأنبياء والرسل هي صفة الأمانة بمعنى العصمة ويستحيل عليهم ضدها وهو الخيانة بفعل المعصية.

٢- الصدق: وهو (مطابقة الخبر للواقع سواء أكانت تلك الأخبار متصلة بشئون الرسالة أم بغيرها من عادات الأنبياء المتعلقة بشئون الحياة ولا يجوز عليهم الكذب أصلا قبل النبوة أو بعدها) [4]. وذلك لأن الصدق من الصفات اللازمة للنبوة بل هو من الصفات الفطرية فيهم فلا يمكن للنبي ان يصدر منه ما يخل بالمروءة كالكذب [5].

الدليل على وجوب الصدق للأنبياء والرسل عليهم السلام:

ذهب العلماء إلى أن الصدق واجب للأنبياء والرسل وأن ضده وهو الكذب محال عليهم ثم استدل على وجوب الصدق لهم واستحالة الكذب عليهم فيما يبلغونه عن الله تعالى وفي غير ما يبلغونه عنه تعالى.

وذلك على النحو التالي :

" أما وجوب صدقهم واستحالة الكذب عليهم فيما يبلغونه عن الله تعالى فالدليل عليه أنهم لو كذبوا في ذلك للزم الكذب في خبره لتصديقه لهم بالمعجزات

---

(١) نفس المرجع والصفحة

(٢) الأعراف جزء آية (٢٨)

(٣) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ١٤٢ ، وراجع : إتحاف المريد بجوهرة التوحيد. تأليف عبد السلام اللقاني (١٤٢/٢) تحقيق وشرح د/ محمود عبد الحكيم عثمان. بدون

(٤) النبوات. د / عبد العزيز سيف النصر ص ٦٨ ضمن بحوث كتاب: أصول العقيدة الإسلامية والأخلاق

(٥) النبوة والأنبياء. الصابوني ص ٤٠، ٤١

وهي خوارق العادات التي يجريها الله تعالى على أيديهم تأييدا لهم لأنها نازلة منزلة قوله تعالى " صدق عبدي في كل ما يبلغ عني " (١).

وتصديق الكاذب كذب وهو محال عليه تعالى فيكون كذبهم فيما يبلغون عنه تعالى محالا وإذا استحال كذبهم في ذلك وجب صدقهم فيه وهو المطلوب.

وأما وجوب صدقهم واستحالة الكذب عليهم في غير ما يبلغونه عنه فالدليل عليه أنهم لو كذبوا لكان كذبهم خيانة تخالف وجوب الأمانة والعصمة لهم وقد تقدم الدليل على وجوب الأمانة لهم واستحالة الخيانة عليهم " (٢).

٣- الفطانة: وهي التفطن والتيقظ بمعنى الذكاء وحدة الذهن وسرعة الإدراك بحيث يمكن للمتصف بها إلزام الخصوم والمعاندين وإفحامهم وإبطال دعاويهم.

"ويجب لهم الفطانة وهي التفطن والتيقظ ويستحيل عليهم ضدها وهو الغفلة وعدم اليقظة " (٣).

الدليل على وجوب الفطنة للأنبياء والرسل عليهم السلام:

"والدليل انه لو لم يكونوا فطناء وكانوا مغفلين لما أمكنهم إقامة الحجة على أخصامهم والمجادلة معهم لإقناعهم بالحق وهذا يخالف منصبهم الذي أرسلوا به وهو هداية الخلق إلى الحق فوجب بذلك لهم الفطانة واستحالة عليهم ضدها وهو الغفلة وهو المطلوب " (٤).

٤- التبليغ: وهو قيام الأنبياء والرسل بتبليغ أقوامهم بما جاءوا به من عند الله دون كتمان لشيء مما أمروا بتبليغه إياهم.

" ويجب لهم تبليغهم للخلق ما أمرهم الله بتبليغه ويستحيل عليهم ضده وهو كتمانهم شيئا من ذلك " (٥).

(١) أي كان الله -تعالى- يقول: صدق عبدي في كل ما يبلغ عني

(٢) الحصون الحميدية ص ٣٣

(٣) نفس المرجع والصفحة

(٤) الحصون الحميدية ص ٣٣ ، ٣٤

(٥) نفس المرجع ص ٣٤

الدليل على وجوب التبليغ للأنبياء والرسل عليهم السلام:

من بين الذين تعرضوا للتدليل على وجوب التبليغ للأنبياء الشيخ حسين الجسر حيث ذهب إلى انهم لو كتموا شيئاً مما أمروا بتبليغه للخلق لكنا مأمورين بكتمان العلم لأن الله أ مرنا بالاقتداء بهم وكوننا مأمورين بكتمان العلم باطل فكتمانهم شيئا أمروا بتبليغه للخلق يكون باطلا فوجب لهم تبليغ ما أمروا بتبليغه واستحال عليهم كتمان شيء من ذلك وهو المطلوب "(١).

من خلال عرض الشيخ الجسر لصفة التبليغ يتضح أن الشيخ لم يفرق بين الأنبياء والرسل في وجوب صفة التبليغ لهما مع تفرقته الواضحة بين النبي والرسول بعدم الأمر بالتبليغ بالنسبة إلى النبي بخلاف الرسول الذي أمر بالتبليغ ولا تعارض بين هذين القولين عند الشيخ الجسر لأن وجوب التبليغ للنبي ليس مطلقا بخلاف الرسول الذي له وجوب التبليغ مطلقا.

فالشيخ الجسر قيد وجوب التبليغ للنبي بأمرين وهما:

الأمر الأول: ان الأنبياء ربما ترجع إليهم الناس في الاستفتاء عن أحكام شرائع الرسل قبلهم فإفتاؤهم الناس عن أحكام شرائع من قبلهم من الرسل يعتبر تبليغا لكنه ليس تبليغا مطلقا.

الأمر الآخر: أن الأنبياء مأمورون أن يبلغوا الخلق أنهم أنبياء ليحترموهم(٢).

بعد أن بينا ما يجب للأنبياء والرسل ننتقل الآن إلى الحديث عن ما يجوز في حقهم:

ثانيا : ما يجوز في حق الأنبياء والرسل عليهم السلام:

يجوز في حق الأنبياء سائر الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية وذلك كالأكل والشرب وجماع النساء في الحلال والأمراض التي لا تخل بمنصب الرسالة ولا تكون منفرة للخلق عن الاجتماع بهم والأخذ عنهم.

والدليل على ذلك: مشاهدة تلك الأعراض بهم وهي لا تخل بمنصب الرسالة.

---

(١) الحصون الحميدية ص ٣٤

(٢) نفس المرجع ص ٣٥

وقد فصل الشيخ الجسر القول في أمرين من الأمور الجائزة في حق الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام- مبينا حد الجواز والمنع فيهما وهما المرض والنسيان:

١- المرض: فصل الشيخ الجسر القول في المرض مبينا منه الجائز والممنوع في حمهم وهذا ما سيتضح من خلال ما يلي:

حكم المرض على الأنبياء والرسل :

يقول الشيخ الجسر : " وأما الأمراض التي تخل أو تنفر عنهم الخلق مثل الجنون والإغماء الطويل والجذام والبرص والعمى فهي ممتنعة عليهم ولم يثبت أن شعيبا كان أعمى وما كان بأيوب من البلاء فقد كان ألما تحت الجلد ليس منفرا وما اشتهر في قصته من الحكايات المنفرة فهي باطلة " (١).

ومن ذلك ما روي عنه -عليه السلام- (من أنه مرض واشتد به المرض حتى تعفن جسده وأصبح الدود يخرج من بدنه حتى كرهته زوجته فإن هذا من الأباطيل والأكاذيب التي نقلت عن الإسرائيليات ولا يصح تصديقها أو الاعتقاد بها لأنها تتنافى مع صفات الأنبياء).

والقرآن الكريم لم يذكر لنا شيئا من هذا وإنما الذي ذكره انه قد أصابه الضر في بدنه فدعا ربه بعد أن اشتد به الكرب والضر فكشف الله عنه ما أصابه من كرب وبلاء.

والظاهر أن الضر الذي أصابه كان في جسمه وهذا النوع من الضر يلحق البشر ويلحق الأنبياء فإن المرض يعتري الأنبياء كما يعتريهم الموت وليس في ذلك شيء ينقص من قدرهم أو يزري بمقامهم " (٢).

بل إن إصابة الأنبياء والرسل -عليهم السلام- ببعض الأمراض غير المنفرة لا يخلو من حكم عظيمة وكثيرة من أهمها تنبيه الخلق على عبوديتهم لله ودخولهم تحت تصرف القدرة الإلهية.

" لعل من أعظم الحكم لابتلاء الرسل تنبيه الخلق المرسل إليهم على عبودية الرسل وأنهم مهما ظهر على أيديهم من المعجزات وخوارق العادات فلا يخرجهم

---

(١) الحصون الحميدية ص ٣٤

(٢) النبوة والأنبياء - الصابوني . ص ٤٨

ذلك عن كونهم بشرا عبيدا مقهورين تحت تصرف القدرة الإلهية يحتاجون للأكل والشرب والجماع وما يتبعها ويصابون بالأمراض والشدائد وهذه شئون العبيد المخلوقين لا شئون الإله الذي يتنزه عن جميع ذلك فالله قد نبه وحذر، ونفس الرسل نبهوا وحذروا أممهم من التعالي في شأنهم والإطراء في مدحهم إلى درجة تعظيم منصب الألوهية ولكن الله يهدي من يشاء "[1].

٢- النسيان:

بعد أن فصلنا القول في الأمراض الجائزة والممتنعة في حق الأنبياء والرسل وبيان الحكمة من الأمراض الجائزة نفصل القول في حكم السهو والنسيان على الأنبياء والرسل وذلك على النحو التالي:

- حكم السهو على الأنبياء والرسل: حكم السهو عليهم سواء في الأخبار البلاغية وغير البلاغية وفي الأفعال البلاغية وغير البلاغية وفيما يلي بيان ذلك:

١- حكم السهو على الأنبياء والرسل في الأخبار البلاغية وغير البلاغية :

ذهب العلماء إلى امتناع السهو على الأنبياء والرسل في الأخبار البلاغية وغيرها: " فالسهو ممتنع عليهم في الأخبار البلاغية التي يبلغونها للخلق نحو: الجنة أعدت للمتقين[2].

وفي غير البلاغية أيضا نحو: قام زيد وذهب عمرو لأنه يورث الشبهة لبعض الضعفاء في عموم أخبارهم وهو ينافي منصب الرسالة "[3].

٢- حكم السهو على الأنبياء والرسل في الأفعال البلاغية وغير البلاغية :

ذهب الشيخ الجسر إلى جواز وقوعه منهم وضرب لذلك مثالا يجمع بين الفعل البلاغي وغيره كما في السهو في الصلاة فهو غير بلاغي وبلاغي في نفس الوقت من حيث اعتباره تشريعا لأمته.

يقول الشيخ الجسر مبينا وقوع هذا السهو منهم وحكمة وقوعه:

---

(١) رياض طرابلس الشام . الشيخ حسين الجسر (٩٢/٣) جمع وترتيب أ/ محمد كامل بحيري. مطبعة البلاغة بطرابلس لبنان – بدون

(٢) يشير إلى قوله تعالى "وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين" آل عمران آية ١٣٣

(٣) الحصون الحميدية ص ٣٤

" وأما السهو في أفعالهم غير البلاغية والبلاغية كالسهو في الصلاة فهو ممتنع عليهم.

وحكمة وقوعه منهم:

أنه يرى الناس كيف يعملون عند حدوث السهو في عباداتهم لأن دلالة الفعل أوضح من دلالة القول "[1].

وبعد أن انتهينا من حكم السهو على الأنبياء الرسل في الأخبار والافعال البلاغية وغير البلاغية نبين حكم النسيان عليهم هذا ما يتضح من خلال ما يلي:

حكم النسيان على الأنبياء والرسل :

من الذين تناولوا هذا الحكم الشيخ الجسر فبين حكم النسيان في البلاغيات القولية كانت أو فعلية مبينا امتناعه عليهم قبل حصول التبليغ وجوازه عليهم بعد حصوله على أن يكون هذا النسيان من الله لا من الشيطان.

يقول الشيخ الجسر: " وأما النسيان فهو ممتنع عليهم في البلاغيات قولية كانت أو فعلية.

فالقولية: نحو الجنة أعدت للمتقين.

والفعلية: نحو صلاة الضحى إذ أمروا بفعلها ليقتدي الناس بهم فلا يجوز نسيان شيء من ذلك قبل تبليغ الأولى بالقول والثانية بالفعل.

وأما بعد التبليغ فيجوز نسيان ما ذكر من جانب الله تعالى لحكمة يعلمها وأما النسيان من جانب الشيطان فمستحيل عليهم إذ ليس للشطان عليهم سبيل.

ووسوسة الشيطان لآدم بتمثيل ظاهري والممتنع لعبه ببواطنهم "[2].

نخلص من خلال ما تقدم فيما يجوز على الأنبياء والرسل إلى نتيجة واضحة: انه يجوز على ظواهرهم ما يجوز على بقية البشر مما لا يؤدي إلى نقص وإخلال بمنصب الرسالة.

وأما بواطنهم فمنزهة محفوظة متعلقة بربهم وما يوهم خلاف هذا فمؤول يرجع في فهم تأويله إلى العلماء الأعلام "[3].

---

(١) الحصون الحميدة ص ٣٤

(٢) الحصون الحميدية ص ٣٤ ، ٣٥

(٣) نفس المرجع ص ٣٥

الخاتمة

سنة الله في الأشياء أن كل ما له بداية فله نهاية ولما كنا في نهاية بحثنا مع النبوة والأنبياء فإننا نخرج من هذا البحث بمجموعة من النتائج والثمرات التي نجملها فيما يلي:

- ✓ أن الأنبياء يمثلون منارات الهدى للإنسانية تأخذ بأيدي السائرين في دجى الليل المظلم إلى الطريق المستقيم والصراط السوي حتى تطمئن النفوس إلى الحق وتسكن إلى الخير وتستقيم على أمر الله
- ✓ أن الأنبياء لا ينظر إليهم على أنهم تاريخ مضى وولى نتغنى بأمجادهم فقط ، وإنما هم مثل حية وحياة نابضة بكل معاني الحياة والحركة نسترشد بهداهم ونسير على خطاهم ، ونأخذ عنهم معتقداتنا وشعائرنا فلا سعادة لنا بدونهم ولا نجاة لنا بدونهم ٠
- ✓ أن الإنسانية اليوم في أشد الحاجة إلى الأنبياء والمرسلين ، وإن كانت النبوة قد ختمت بنبوة سيدنا محمد إلا أن ما احتوته رسالة السماء من مبادئ وتشريعات فيها الدواء لكل داء تعيش فيه الإنسانية الحائرة اليوم بعدما تراكمت على الإنسان أدواء البشرية وعللها ، حتى أفقرت روحه وأظلم قلبه وعميت بصيرته فلا منجى ولا ملجأ للإنسانية إلا في رسالة السماء رسالة الإسلام وصدق الله إذ يقول : " فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى "

وبهذا نكون قد وصلنا إلى نهاية بحثنا والذي ندعوا الحق تبارك وتعالى أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم ٠

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

١- أصول الدين للبغدادي. ط(١) استانبول ١٩٢٨.
٢- الحصون الحميدية حسين الجسر ط(١) محمد علي صبيح.
٣- شرح المقاصد للتفتازاني ج٣ ط. دار الكتب العلمية بيروت ط(١١).
٤- شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ط(١) ١٩٦٥.
٥- التوحيد الماتريدي. ط. دار الجامعات المصرية.
٦- النجاة لابن سينا ط. دار الآفاق الجديدة بيروت ١٩٨٥.
٧- غاية المرام في علم الكلام للآمدي . ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة ١٩٧١.
٨- في العقيدة الإسلامية. د. شوقي إبراهيم. دار الطباعة المحمدية ١٩٨١.
٩- الملل والنحل. للشهرستاني ج٢. ت: محمد سعيد كيلاني. دار صعب بيروت.
١٠- نهاية الإقدام للشهرستاني تحقيق الفريد جيوم .
١١- رسالة التوحيد- محمد عبده - ط دار الهلال .
١٢- لسان العرب لأبن منظور ، ط . دار المعارف ، بدون
١٣- النبوات والسمعيات، د/الصافي
١٤- الحصون الحميدية ،
١٥- شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ، تأليف صدر الدين علي بن محمد أبي العز الحنفي ، تحقيق / أحمد محمد شاكر ، طبع ونشر وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٨ هـ.
١٦- التفسير الكبير ، الرازي (٢٣ / ٢٣٦) دار إحياء الثراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط الثانية ، ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م .
١٧- الرسالة والرسل في العقيدة الاسلامية ، د / محمد سيد احمد المسير ، دار البيان ، مكتبة الصفا ، ط الأولى ، ١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠١ م .
١٨- روح المعاني للألوسي (٩/٧٣) إدارة الطباعة المنيرية ، دار إحياء الثراث العربي ، بيروت لبنان ، بدون .
١٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل (٦ / ٣٦٦) ط دار احياء الثراث

٢٠- النبي والرسول . د/ أحمد بن ناصر بن محمد آل حمد مكتبة القدس الزلفي ط الأولي ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م .

٢١- كتاب النبوات . ابن تيمية ط إدارة الطباعة المنيرية بمصر ط الأولي ١٣٤٦ هـ.

٢٢- تحفة المريد على جوهرة التوحيد . شيخ الإسلام إبراهيم البيجوري ط الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦ م .

٢٣- رياض طرابلس الشام . الشيخ حسين الجسر (٩٢/٣) جمع وترتيب أ/ محمد كامل بحيري. مطبعة البلاغة بطرابلس لبنان – بدون